مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

مقاصد المصلحة الاجتماعية عند علال الفاسيمن خلال كتابه «دفاع عن الشريعة».

The purposes of social interest according to Allal Al-Fassi through his book A Defense of Sharia

سناء بن الشيخ*

جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة (المغرب)

مختبر الدراسات الإسلامية والتنمية المجتمعية

Sanae.islamique@gmail.com

تاريخ ارسال المقال:05 /2021/12	تاريخ القبول:2022/01/22	تاريخ النشر: 2022/03/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

يعرض هذا البحث موضوعا من المواضيع المهمة التي يطرحها الواقع في علاقته بمقاصد الشريعة الإسلامية، ألا وهو خدمة المصلحة الاجتماعية، وذلك من خلال تخصيصه للمفكر والمناضل علال الفاسي رحمه الله، من خلال كتابه (دفاع عن الشريعة) بشكل خاص، ومن باقي كتبهالفكرية والمقاصدية والاجتماعية بشكل عام، حيث قد أسهمت الروح المقاصدية التي تشبع بها علال الفاسي في الدفاع عن المصلحة الاجتماعية، من خلال توظيفهللخطاب الديني وتنزيل النصوص الشرعية وتفعيلها في إصلاح المنظومة الاجتماعية مع مراعاة المصلحة، مبينا مدى صلاحية الشريعة الإسلاميةلكل زمان ومكان،ردا على من يدعي أن النصوص الشرعية غير مستوعبة لمستجدات العصر.

الكلمات المفتاحية:المقاصد؛المصلحة ؛ المجتمع؛ علال الفاسي؛الإصلاح

Abstract :

This research presents one of the important topics that reality raises in its relationship with the purposes of Islamic law, which is the service of social interest, by dedicating it to the thinker and fighter Allal Al-Fassi, may God have mercy on him, through his book (Defense of Sharia) in particular, and from the rest of his intellectual, intentional and social books In general, the intentional spirit with which Professor Al-Fassi was saturated has contributed to defending the social interest, through his employment of religious discourse and the downloading and activation of legal texts in reforming the social system while observing the interest, indicating the extent of the validity of Islamic law for every time and place, in response to those who claim that The legal texts are not absorbed by the developments of the times.

Keywords: purposes; interest; Society; Allal El Fassi; reform

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، واقتدى بسنته إلى يوم الدين.

مما لاشكّ فيه أنّ الشريعة الإسلامية مبنية على مراعاة قواعد المصلحة العامة في جميع ما يرجع للمعاملات الإنسانية، لأنّ غايتها تحقيق السّعادة الدنيوية والأخروية، فما جاءت إلا لرعاية مصالح النّاس، ورفع المشقة عنهم، قال سبحانه وتعالى: (وما أرسلناكَ إلاّ رحمةً للعالمين)،(سورة الأنبياء، الآية :107)

وبما أن غايتها هي مصلحة الإنسان باعتباره خليفة الله في أرضه، ومسؤول أمام الله الذي استخلفه،كان لابد من إيجاد القواعد والآليات التي تخدم الشريعة في علاقتها بالمجتمع، وما المقاصد الشرعية إلا أهم محرك ومفعل للشريعة في المجتمع.

ولعل هذا ما يعالجه علماء المقاصد كالإمام الشاطبي، والشيخ الطاهر بن عاشور، وغيرهم وعلال الفاسي أحد هؤلاء العلماء الذين خدموا المقاصد الشرعية واهتموا بقضاياها التي تهم المصلحة العامة للمجتمع، فهو عالم بأمور الشرع ومهتم بالواقع الذي كان يعيش فيه، لذلك كان الغالب في دراسته للمقاصد الشرعية تركيزه على القضايا الاجتماعية.

ومن هذ المنطلق عالج علال الفاسيموضوع مقاصد المصلحة الاجتماعية من خلال كتابه دفاع عن الشريعة بشكل خاص، ومن باقي مؤلفاته وأبحاثه الفكرية والمقاصدية والاجتماعية بشكل عام، حيث نجده لا يطرح قضية من القضايا دون النظر إليها من مختلف مجالاتها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رؤيته الثاقبة للأشياء باستفادته من الماضي ومعايشته للحاضر واستشرافه للمستقبل مع انفتاحه على الآخر.

إشكالية الموضوع:

يعد موضوع المصلحة الاجتماعية من المواضيع المهمة التي اهتم بها العلماء والمفكرون قديما وحديثا ، ويعتبر علال الفاسي أحد أبرز هؤلاء العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع في كثير من كتبه ولا سيما في كتابه: دفاع عن الشريعة، فإلى أي حد استطاع علال الفاسي مقاربة هذا الموضوع ومعالجته في مختلف أبعاده المقاصدية والإصلاحية ؟.

منهج البحث:

أما بخصوص منهج البحث فقد اعتمدت فيه المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على جمع البيانات وتحليلها واستخراج الاستنتاجات منها، كما اعتمدت فيه المنهج الاستنباطي لاستخراج اهم قضايا المصلحة الاجتماعيةخاصة تلك التي يطرحها الواقع في علاقته بمقاصد الشريعة الإسلامية.

خطة البحث:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة سأعالجهذا الموضوع من خلال المحاور التالية:

المبحث الأول: علال الفاسي وكتابه" دفاع عن الشريعة ".

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن علال الفاسي.

المطلب الثاني : وصف الكتاب وتوثيقه

المبحث الثاني: مقاصد المصلحة الاجتماعية من خلال فكر علال الفاسي

المطلب الأول: تعريف المقاصد والفكر المقاصدي عند علال الفاسي.

المطلب الثاني: المصلحة الاجتماعية عند علال الفاسي وعلاقتها بالمقاصد الشرعية.

أهداف البحث:

وفي دراستي لهذا الموضوع عملت على التركز على هدفين مهمين، يحضران بشكل قوي في المشروع الفكري والإصلاحيللأستاذ علال الفاسي رحمه الله:

الهدفالأول: تمالتركيزعلىالفكر المقاصدي للأستاذفيبعدهالاصلاحيمنخلالتوظيفهلمفاهيممقاصدالشريعة،والمصلحةالعامة، ومراعاة الواقع.

الهدف الثاني:تم التركيز على الفكر الاجتماعي للأستاذ في علاقته بالمقاصد الشرعية، حيث وجه علال الفاسي فكره ونضاله لمواجهة الرجعية النصية التي تعيق تقدم المجتمع الإسلامي وتسعى إلى إبعاده عن أصوله الدينية.

المبحث الأول:علال الفاسي وكتابه" دفاع عن الشريعة "

سأعالج في هذا المبحث، الحديث عن علال الفاسي وعن كتابه دفاع عن الشريعة، من خلال مطلبين:المطلب الأول التعريف بعلال مع ذكر أهم مميزات مسيرته الشخصيةوالفكرية،أما المطلب الثاني من هذا المبحث فقد شمل دراسة ووصف كتاب "دفاع عن الشريعة" مع توثيقه وذكر مجمل محاوره.

المطلب الأول:ملامح من شخصية علال الفاسي.

يتحدث هذا المطلب عن حياة المفكر الإصلاحي الفقيه علال الفاسي وما يرتبط بها: نسبه، طفولته، شبابه، كتبه، وفاته، شهادة بعض العلماء في حقه، مؤلفاته.

الفرع الأول:نسبه ونشاته.

هو محمد علال بن عبد الواحد الفاسي ولد بمدينة فاس المغربية سنة (8 محرم 1328هـ / 1910 م). وهو ينتمي إلى عائلة عربية هاجرت من الأندلس إلى مدينة فاس بالمغرب، وكانت تعرف بآل الجد، وسكن بعض أفرادها مدينة القصر الكبير بشمال المغرب بسبب التجارة والمصاهرة[1].ويذكر الأستاذ احمد الريسوني:" أنها عرفت بعائلة علال الفاسي، أو الفاسي الفهري واليها ينتمي عدد كبير من الشخصيات المغربية قديما وحديثا ومنهم علماء وسياسيون ووزراء وقضاة "[2].

التحقبالكتاب القرآني في الخامسة من عمره، وحفظ القرآن الكريم مع بعض النصوص والأشعار في السابعة من عمره وعند خروجه من الكتاب القرآني، التحق بالمدرسة القرآنية الحرة لتربية الناشئة وبقي يلقن فيها مبادئ التوحيد والفقه وأصوله حتى برزت موهبته، الشيء الذي مكنه في السن الرابعة عشر من ولوج كلية القرويين التي تابع فيها دراسته العالِمية "[3].

ثمإن شبابه كان امتدادا لطفولته على المستوى التربوي والأخلاقي، وعلى المستوى التعلمي كذلك، فبعد التحاقه بجامعة القرويين بدأت تظهر شخصية علال الشاب، ونبوغه الفكري ونضاله الصامد، رفقة بعض أصدقائه كما يعبر عن ذلك الأستاذ أحمد المرنيسي، وقد كانت جامعة القرويين منبع الفكر الإصلاحي والنضالي، الذي تشبع به أغلب زعماء الحركة الوطنية التي ساهمت في استقلال البلاد، ونال علال الفاسي منها إجازة العالِميةسنة 1930م، وعمره لايتعدى عشرين سنة، ولكن السلطات الاستعمارية منعتها عنه، لمعتقداته السياسية والوطنية ولأفكاره التحررية، ولم يحصل عليها إلا بعد فترة طويلة"[4].

ومن هنا بدأ علال الفاسي يدعو وهو لازال طالبا في جامعة القرويين وسط زملائه إلى الحركة السلفية[5]، ونبذ الشعوذة والوثنية، ورجال الطرق والزوايا، مما تلقاه عن شيوخه أمثال محمد العربي العلوي، والشيخ أبي شعيب الدكالي وغيرهم، مما جعله يمتاز بخاصيتين في عمله النضالي: نضال بالمقاومة، ونضال بالفكر.

توفي رحمه الله يوم الإثنين:" إحدى وعشرون ربيع الآخر، سنة أربع وتسعين ثلاثمائة وألف، الموافق لثلاثة عشر ماي، بمدينة بوخارست عاصمة رومانيا، ونقل جثمانه إلى موطنه حيث احتُفل بدفنه احتفالا عظيما من طرف الحكومة والشعب"[6].

وقد سجل التاريخ شهادات عظيمة في حقه،نذكر منها شهادة الأستاذ حميد شباط عميد كلية مدينة فاس في حق الفقيد الراحل علال الفاسي فقال: لقد كان رجلا قد لا يجود الزمان بمثله فهو رجل العلم ورجل التقوى والصلاح، وهو رجل الكفاح والجهاد، عاش ويلات المنفى، وجعل الصبر عنوانه، ساهم في الدفاع عن استقلال المغرب وبنائه، ثم قال: ويكفينا من هنا ماقاله جلالة المغفور له الحسن الثاني –طيب الله ثراه– في كلمة سامية وجهها في الذكرى الأربعين لوفاة المغفور له علال الفاسي، وقرأها الحاج محمد باحنيني، وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية، حيث قال:" ستظل شخصية علال الفاسي سجية الليالي، ملهِمة للكثير، موحِيةً بالكثير، لأنها معدن لاينفذ، بعد أمد من الاستمداد قصير"[7].

ومن الشهادات في حق نضاله وفكره العلمي والعملي كذلك، ما ذكره الأستاذ الريسوني فقال: كان علال الفاسي رجل جولة ورجل ميدان، وهو ينتمي إلى علماء السلف، الذين كانوا علماء وقادة دولة، ثم قال:" إن علال الفاسي جمع عنصرين قلما يجتمعان في علمائنا، وهما: الممارسة والمدارسة "[8].

الفرع الثاني:مؤلفاته.

لقد أفصح عن نضالية علال الفاسي الفكرية والعلمية، ما جادت به الساحة العلمية والثقافية من كتب ومقالات ومحاضرات في مختلف مجالات الفكر، وما من مجال إلا وتجد للأستاذ بصمته فيه، وأبرز ما أفصح عن ذلك مؤلفاته، وقد تم بسطها في كتابه " دفاع عن الشريعة "[9]، كما تم عرضها في كتابه:"مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها"[10]، وتم تصنيفها إلى قسمين:

القسم الأول: كتب وأبحاث صدرت للمؤلف علال الفاسي.

القسم الثاني: كتب للمؤلف علال الفاسي، أصدرتها مؤسسة علال الفاسي، وبعضها لازال مخطوطا في المؤسسة لم يخرج إلى الوجود.

المطلب الثاني: وصف كتاب " دفاع عن الشريعة"وتوثيقه:

عالج هذا المطلب وصف كتاب "دفاع عن الشريعة" للأستاذ علال الفاسي دراسة وتحليلا وتوثيقا من خلال فرعين .

الفرع الأول: وصف الكتاب وتوثيقه.

كتاب " دفاع عن الشريعة" هو عبارة عن محاضرات علمية ألقاها علال الفاسي في مجموعة من الكليات المغربية،وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة سنة 1386 هجرية 1966ميلادية، والنسخة المعتمدة في هذا البحث من تقديم الأستاذ دريسا تراوري من جمهورية مالي[11]، وقد صدرت هذه الطبعة من طرف دار الكتاب المصري بالقاهرة وبالتعاون مع المكتبة الإسكندرية سنة 2010، ودار الكتاب اللبناني في بيروت، الطبعة الأولى 1432-1433 هجرية- 2011-2012 ميلادية، وضم الكتاب 279 صفحة بما في ذلك مقدمة الكتاب.

وقد صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة (الفكر النهضوي الإسلامي) وضمن فعاليات مشروع: "إعادة إصدار كتب التراث الإسلامي الحديث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين – التاسع عشر والعشرين الميلاديين " وقد نبعت فكرة هذا المشروع من الرؤية التي تبنتها مكتبة الإسكندرية بشأن ضرورة المحافظة على التراث الفكري والعلمي دفاعا عن الشريعة في مختلف مجالات المعرفة، والمساهمة في نقل هذا التراث للأجيال المتعاقبة، تأكيدا لأهمية التواصل بين أجيال الأمة عبر تاريخها الحضاري[12].

وقد ضمهذا الكتاب مجموعة من المسائل الاجتماعية التي تحتاج للمزيد من الوقوف عند كل فكرة منها، من أجل تفكيكها ثم إعادة بلورتها،ومن أجل تفعيلها وتنزيلها على أرض الواقع، وذلك بما يصلح شأن المجتمع والأمة الإسلامية.

ورغم ما ضمه هذا الكتاب من قضايا سياسية واجتماعية وشرعية، فقد صنفه الأستاذ أحمد الريسوني ضمن مؤلفاته في العلوم الشرعية، لأن عمدته في ذلك: الأصول والأدلة والقواعد الشرعية مع إعمال النظر والاستنباط، وفي هذا القسم، نجد شخصية علال الفاسي المناضل المفكر المقاصدي"[13].

الفرع الثاني:عرض مضامين الكتاب.

كتاب " دفاع عن الشريعة "هو دراسة شاملة جامعة لا تقتصر على تحليل مضامين الكتاب فحسب، ولكنها شملتكذلك عرض حياة الراحل علال الفاسي رحمه الله مع استعراض أطوار من حياته الفكرية والثقافية و النضالية.

افتتح الكتاب بتقديم الأستاذ اسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الاسكندرية، والمشرف العام على المشروع، الذي بين سبب تبني مشروع إعادة إصدار كتب التراث الإسلامي الحديث.

ثم تلاه تقديم الأستاذ دريسا تراوري، الذي عرج على حياة الراحل علال الفاسي رحمه الله، مولدا ونسبا، وموطنا، ونشأة، مبينا بذلك أسباب انضمامه إلى السلفية الجديدة في وقت مبكر، والتيارات الفكرية في عصره وأسباب تأليف الكتاب.

أما عن مضمون الكتاب فقد تناول فيهعلال الفاسي قضية محورية: وهي إبراز خصائص ومميزات الشريعة الإسلامية، وبيان مدى صلاحيتها لكل زمان ومكان، مع التعرض لبعض الأغراض الاستعمارية من القوانين الوضعية التي وضعها المستعمر،وذلك ليلفت النظر إلى خطورة ما تقدم عليه النخب التحديثية[14]، ونادى بأن الإسلام هو البديل الوحيد لإنقاذ البشرية، و أن الأمة لا تصلح إلا بما صلح به أولها[15].

أما عن المنهجية التي سلكها الاستاذ دريسا تراوري مقدم هذا الكتاب،فقد بينها أثناء عرضه لقضايا هذا الكتاب حيث قال: "ولتقديم الكتاب سأضطرإلى إعادة هيكلته وفق الأفكار الرئيسية، لأن الكتاب غير مبوب، والفكرة الواحدة مبثوثة أحيانا في ثنايا الفصول، وسأعالجه في مقدمة وجوهر مؤلف من ثلاث قضايا، تحت كل قضية قضايا جزئية، وخاتمة[16].

ثم ذكر هذه القضايا الجوهرية التي ضمها كتاب دفاع عن الشريعة وهي:

القضية الأولى: أصالة الشريعة الإسلامية .

القضية الثانية: صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

القضية الثالثة: إبراز بعض مقاصد القوانين الاستعمارية.

وكل قضية من هذه القضايا الثلاث تنطوي تحتها مجموعة من القضايا والمسائل الجزئية.

ومن أسلوب الفاسي في التأليف يظهر أنه كان لا يلتفت إلى الماضي إلا لأخذ العبر منه لإصلاح الحاضر، والتخطيط للمستقبل، والمطلع على مؤلفاته يلحظ أنها إما لإصلاح وضع راهن، أو لطرح رؤية مستقبلية، ولا تكاد تجد فيها مؤلفا يعيش في الماضي فقط[17].

المبحث الثاني: مقاصد المصلحة الاجتماعية من خلال فكر علال الفاسي.

يضم هذا المبحث تعريف أهم المفاهيم المؤطرة للموضوع منها: المقاصد، والفكر المقاصدي (**المطلب الأول**)،أما **المطلب الثاني**فيبين مكانة المصلحة الاجتماعية في فكر علال الفاسي وعلاقتها بالمقاصد الشرعية.

المطلب الأول:تعريف المقاصد والفكر المقاصديعند علال الفاسي.

يضم هذا المطلب محورين، يعرف المحور الأول بعلم المقاصد لغة واصطلاحا مع بيان غايته، كما يعرف المحور الثاني بالفكر المقاصدي الذي تميز به الفقيد عن غيره من العلماء.

الفرع الأول:تعريف المقاصد الشرعية عند علال الفاسي.

إذا ذكر علال الفاسي، ذكرت معه مقاصد الشريعة الإسلامية، فهو يعتبر أحد العلماء البارزين في علم المقاصد الشرعية، بعد أبو الحسن العامري، وابن بابويه القمي، وأبو بكر الشاشي، والجويني، والعز بن عبد السلام. والإمام الشاطبي ،والطاهر ابن عاشور .

وقبل بيان مفهوم مقاصد الشريعة الإسلامية عند علال الفاسي، تجدر الإشارة إلى تعريف المقاصد لغة واصطلاحا.

– تعريف المقاصد لغة واصطلاحا:

– المقاصد في اللغة: "والمقاصد جمع مقصِد يقال قصدت الشيء، وله، وإليه، قصدا، وإليه قصدي ومقصِدي، وبفتح الصاد اسم مكان، وأما المقصد فيجمع على مقاصد، وقصد في الأمر قصدا، توسط،وهو على قصد:أي رشد. وطريق قصد: أي أسهل"[18].والقصد الحد واستقامة الطريق، قصد يقصد قصدا، فهو قاصد وقوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾[19]. أي على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة"[20].

– المقاصد اصطلاحا:عرفها علال الفاسي بقوله:" المراد بمقاصد الشريعة، الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[21]. أو هي:" المعاني والغايات والآثار، التي يتعلق بها الخطاب الشرعي والتكليف الإلهي ويريد من المكلفين السعي والوصول إليها "[22].

أما المقصد العام للشريعة الإسلامية في نظر علال الفاسي، فهو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلَفين فيها، وقيامهم بما كلفوا من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع"[23].

وقد وضح الأستاذ الريسوني هذا المقصد الذي تطرق إليه علال الفاسي بقوله:هو انقياد المكلفين إليها، بأن يقصدوا إلى ما قَصَدَتهي،وأن يسعوا إلى ما هَدَفَت وتوخَّت"[24].وذكر أن غايها هو البحث عن غرض الشارع وإرادته وحكمته في شريعته، فهي تأمل ونظر وتدبر في فقه الشريعة ونصوصها، ... لذلك فنحن قد لا نكون بحاجة إلى معرفة أحكام جديدة و نصوص جديدة، ولكننا بحاجة إلى التدبر في هذه النصوص وهذه الأحكام[25].

وبناء على ما سبق يتفق جل العلماء على أن الشريعة الإسلامية أو الشرائع السماوية بصفة عامة، ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، وذلك بجلب المنافع لهم، ودفع المفاسد عنهم.

الفرع الثاني: تعريف الفكر المقاصدي عند علال الفاسي:

يمتاز الفكر والتفكير المقاصدي عند علال الفاسي عن غيره من العلماء، إذ هو عنده: تنزيل المقاصد على الواقع، وتفعيل روح المقاصد في معالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على ضوء النصوص الشرعية.

وقد تمثل الفكر المقاصدي عند علال الفاسي في جعله: الخيط الرابط بين الفكر الوطني والفكر السياسي والفكر الاجتماعي والفكر الاقتصادي، وجعل الكل يدور في بؤرة إسلامية، تنبني على أصول إسلامية...وفكره المقاصدي يرتبط بالدرجة الأولى بالحياة العلمية في مختلف جوانبها.

وهذا ما نلمسه عنده من خلال كتبه: "مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها"، و" كتاب دفاع عن الشريعة" وكتاب " النقد الذاتي" كذلك، وفي باقي كتاباته الفكرية، التي أشاد به غير واحد من أئمة العلم، إذ تقف في ذلك على تشبعه بروح المقاصد الشرعية، وليس فقط بالفكر المقاصدي.

من هنا يكون الفكر المقاصدي للأستاذ علال الفاسي يمثل عملية تنظيرية تنزيلية، من خلال رؤيته الإصلاحية الاجتماعية، وفق منهجية إسلامية تتمثل في المحافظة على الثوابت الإسلامية ومعايشة الواقع ومراعاة متطلباته وتطوراته الآنية والمستقبلية، ويشهد لذلك كتاباته: الفكرية التي أرسى فيها مشاريعه الإصلاحية وفق المبادئ والأسس الشرعية.

وبذلك حُقَّ للأستاذ علال الفاسي أن يكون كما قال الاستاذ احمد الريسوني:" من القلائل الذين يُجَسِّدون سيرة الصحابة والسلف الصالح في هذا الباب، من حيث الجمع بين العلم والعمل، أو بين الجهاد العلميوالجهاد السياسي، أو بين المدارسة والممارسة"[26].

المطلب الثاني:المصلحة الاجتماعية عند علال الفاسي وعلاقتها بالمقاصد الشرعية.

يعرض هذا المطلب في فرعه الأول المصلحة الاجتماعية في ضوء المقاصد الشرعية من خلال فكر علال الفاسي، أما فرعه الثاني فيبين مدى خدمة الفكر المقاصدي للمصلحة الاجتماعية.

الفرع الأول:المصلحة الاجتماعية عند علال الفاسي.

يحضر بعد المصلحة الاجتماعية في فكر علال الفاسيبشكل كبير من خلال اهتمامه بقضايا المجتمع العربي بشكل عام، وقضايا المجتمع المغربي بشكل خاص، وهو يعتبر أن المجتمع هو اللبنة المتينة في بناء الأمة، ولا صلاح لأمة دون صلاح مجتمعها، وهو يشدد ويؤكد على ذلك بقوله: لا يمكن لأمة أن تنهض من وهدة السقوط التي وقعت فيها،إلا إذا تدربت على أن تفكر اجتماعيا، وتعودت على ألا ترى في مسائل الأفراد أو الطبقات الأخرى شؤونا بعيدة عنها أو غير عائدة إليها[27].

فالإصلاح عنده أو المصلحة الاجتماعية تنطلق من المستوى الفردي، إلى المستوى الاجتماعي، ثم إلى الإيخاء على المستوى الإسلامي، وإلى المستوى الإنساني، وذلك يستوجب كثيرا من التسامح مع المخالفين، في الوقت الذي يدعو للوقوف صفا واحدا في الدفاع عن الإسلام وعن الأمم الإسلامية كلها [28].

فاهتمام علال الفاسيبهذه القضية خاصة، وباقي قضايا المجتمع عامة، جعله يشيّد برنامجا إصلاحيا ينصبّ على كل ما يمكن أن يساهم في تطور المجتمع، وبناء مستقبل البلاد.باعتبار " أن الشريعة الإسلامية مبنية على مراعاة قواعد المصلحة العامة في جميع ما يرجع للمعاملات الإنسانية، لأن غايتها هي تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية عن طريق هدايتهم لرسائل المعاش وطرق الهناء "[29].

وبما أن المقاصد الشرعية يدور رحاها حول دفع المفاسد وجلب المصالح، والناس بطبعهم يميلون إلى تحقيق هذه الغايات، وتطبيقا للقاعدة المقاصدية: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ولعله بالدرء يأتي تحصيل المصالح، فكان تقديم الدرء أولى من الجلب أو البحث عن المصالح، "وإذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة قدمت المصلحة العامة، في حين أن القوانين الغربية مبناها على فردية مغلقة حتى أصبح الفرد يتمتع بحقوق تمس بصالح المجموع وتؤدي به إلى الخراب"[30].

وإذا كان الأمر كذلك فإن: المصالح والمفاسد، إنما تفهم على مقتضى ما غلب، فإذا كان الغالب جهة المصالح، فهي المصلحة المفهومة عرفا، وإذا غلبت الجهة الأخرى، فهي المفسدة المفهومة عرفا[31].

وقد ذهب الإمام الشاطبي أبعد من ذلك، حيث قرر أن المفسدة القليلة غير مقصودة للشارع، فإن كانت المصلحة هي الغالبة عند مناظرتها بالمفسدة في الحكم الاعتيادي، فهي المقصودة شرعا، ولتحصيلها وقع الطلب على العباد، فإن تبعتها مفسدة فليست مقصودة في شرعية ذلك الفعل وطلبه"[32]، وبين أن استقراءنا لأحكام الله تعالى ولجزئيات تشريعه جعلنا نقتنع، لا محالة، بمراعاة الله لمصالح عباده لوجود هذه المصالح بارزة في كثير من الآياتالقرآنية.[33] وهو الأمر الذي أكده الأستاذأحمد الريسوني بقوله: مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد [34].

وهذا الأمر جعل علال الفاسي رحمه الله يرى أن الشريعة الإسلامية بمقاصدها الواسعة راعت المصلحة الاجتماعية في درء العقوبات، فقد اعتمدت على تطبيق مجموعة من القواعد المقاصدية في درء العقوبات خاصة الجريمة ومثال ذلك:

- قاعدة درء الحدود الشبهات.
- قاعدة التضييق في إثبات الجرائم(الاقرار والشهادة فقط).
- قاعدة إسقاط العقوبة بالتوبة إذا كان ذلك قبل تنفيد العقوبة في المتهم.
- قاعدة دفع الجريمة قبل التحقق فيها.[35]

وتطبيق القواعد المقاصدية جدير باستيعاب النوازل الفكرية والقضايا الثقافية المستجدة وبالتالي خدمة المصلحة الاجتماعية.وهذا الذي ميز شخصية علال الفاسي وساعده في ذلك فهمه العميق لمقاصد الشريعة، حيث شهدت نقلة نوعية من علياء التنظير إلى واقع التوظيف و التطبيق.

واعتبارا لمصالح الشعب، يعتبر علال الفاسي أن المصلحة الاجتماعية في المغرب، تعد قضية مهمة في العصر الحالي، بل هي الأساس المتين الذي لايستقيم بناء المجتمع والأمة من دونه، ويؤكد ذلك بقوله:" (لا يمكن لأمة أن تنهض من وحدة السقوط التي وقعت فيها، إلا إذا تربت على تفكير اجتماعي، وتعوذت على أن لا ترى في مسائل الأفراد والثقافات الأخرى شؤونا بعيدة عنها أو عائدة إليها "[36].

وهنا يطرح السؤال: هل التفكير المغربي بهذا الاعتبار تفكير اجتماعي أم أناني؟ وما موقع المصلحة الاجتماعية داخل المجتمع المغربي، إذا كنا حقا نفكر اجتماعيا؟.

الفرع الثاني: الفكر المقاصدي في خدمة المصلحة الاجتماعية.

بفضل تنوع برامج الرؤية الإصلاحية على أساس المرجعية الإسلامية، وبفضل الفكر البعيد والعميق، استطاع علال الفاسي، ربط النص الشرعي بالواقع وتحويله من قراءة نصية جامدة، إلى قراءة ذات أبعاد مختلفة متشبعة بروح المقاصد الشرعية والإصلاح الاجتماعي، بتنزيل الأحكام على الواقع مع مراعاة مصالح العباد.

ويتضح هذا التنوع من خلال تتبع منهجه في معالجة القضايا الاجتماعية، وتتبعها بتوظيف القواعد المقاصدية، لبلوغ أحكام النوازل والحوادث الاجتماعية الطارئة، ومنه معرفة أصل الشيء وسببه ومآله ونتيجته، ومن ثم التفكير في حلول ووسائل لإصلاح واقع تلك النازلة بناء على النصوص الشرعية.

فقد كان رحمه الله على وعي فقهي دقيق بحركة الواقع المتغيرة، لأن الوعي بالتطور هنا ما هو إلا صورة من صور الوعي المقاصدي بمآلات تطبيق الأحكام الشرعية التي سبق أن نبه عليها الأصوليون من النظر في المآلات قبل الجواب في السؤالات[37].

وإن إضفاءهرحمه اللهالمقاصد الشرعية على إصلاح البعد الاجتماعي جعله يمتاز على غيره في حل مجموعة من المسائل الاجتماعية بناء على الموازنة المقاصدية بين التدقيق في فهم الواقع، و التشبث بالأصالة المرجعية في تنزيل الأحكام على المستجدات.

وذلك ما أفصح عنه في كتبه: " دفاع عن الشريعة" و"مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها" وكتابه: "النقد الذاتي"، وبذلك يكون عمل على مقاربة الواقع الاجتماعي بالمقاصد الشرعية دون التوغل في أقوال العلماء في هذا المجال أو مناقشة آرائهم واختلافاتهم وجدالهم في موضوع المقاصد بصفة عامة.

فالمتتبع لفكر علال الفاسي يجده ذو نزعة مقاصدية، بما يعنيه ذلك من إيمان بالعقل والاجتهاد في قراءة النص الشرعي، وقراءة الواقع المتغير المتطور والربط بينهما، ثم جعل الأول دواء للثاني، فان البعد الفكري المقاصدي المحض، يبرزه بشكل جلي كتابه الرائد في مقاصد الشريعة (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها).[38]

إن هذه الرؤية المقاصدية الإصلاحية التي كان ينظر بها علال الفاسي لقضايا الأمة الإسلامية مكنته من تنزيل الأحكام على الوقائع وتحويل النصوص من قراءة جامدة إلى قراءة حية تتناسب مع الواقع ومتطلباته، مراعيا في ذلك مصالح العباد في المعاش والمعاد،وقد ضرب لها خير مثال في مفهوم العبادة الذي يحصره البعض في أركان الاسلام (الصلاة، الصيام، والزكاة، والحج)، فمنهجه وفكره المقاصدي جعل من مفهوم العبادة مفهوما موسعا لا مفهوما ضيقا، ليشمل كل شؤون الحياة المادية والمعنوية مستوعبا تطورات الحياة حيث قال: "إن العبادة في الإسلام لاتعني الانقطاع عن العمل والتجرد عن الدنيا، فإن الإنسان ما خلق ليعبد اللهإلا في هذه الأرض وعليها، فهو مسؤول عن كل ما يقع منه ويتنافى مع رسالته في تعمير الأرض ونشر الحكم الإلهي عليها، طبقا لنواميس الله ومقاصده الشرعية"[39].

من هنا يتضح أنه كان رحمه الله يسعى إلى تأصيل القضايا الاجتماعية وطرحها على النصوص الشرعية، دون أن يغفل جانب الانفتاح على تجارب الأمم الأخرى والاستفادة منها فيما يصلح لمجتمعنا ولا يخالف شريعتنا، وهذا التفكير يدل على أنعلال الفاسي كان يتمتع بروح الانفتاح والتجديد،واشتغال علال الفاسي بمقاصد الشريعة وقضايا الوطن، سواء السياسية أو الاجتماعية منها، جعله يقحم مجال المقاصد في إصلاح تلك القضايا بعيدا عن النزعة الحداثية المتطرفة التي تؤمن بعدم صلاح الشريعة لقضايا المجتمع.

ثم إن هذه النزعة الإصلاحية جعلته يدافع عن صلاحية الشريعة بشكل مستميت في كتابه " دفاع عن الشريعة "ردا على القائلين بعدم صلاحيتها وقصورها على تنظيم الحياة المعاصرة، مبرزا في ذلك خصائصها ومميزاتها ومقاصدها التشريعية التي تبرهن على صلاحيتها، واستيعابها لقضايا العصر ومتطلبات الحياة، وانطوائهاعلى الحلول الاستحسانيةوالاستصلاحيةمما يجعلها صالحة لمواكبة مستجدات العصر[40].

وردا كذلك على الذين قالوا بأن الفقهاء يعتمدون على حرفية النصوص، وعلى المنطق الصوري للقياس، يقيسون المسائل المعاصرة على حلول السابقة، مما يجعل المجتمع مكبلا ومشدودا إلى الوراء، ويجعل الماضي حاضرا[41].

بل يعتبرعلال الفاسي أن الشريعةالإسلامية بأصولها وقواعدها، أهمّ ركيزةيمكن أن يبنى عليها الفكر المقاصدي، لذلك نجده ينطلق رحمه الله من توظيف قوته الاجتهادية في قراءة النص الديني للدفاع عن ضعفاء المجتمع، الذين تفرض عليهم بعض الأحكام الرجعية التي تعتمد الدين كسلاح للمحافظة على الواقع وتطهيره.

فنجده يضرب مثلا ينافي هذا التشدد التعصبي الرجعي في تطبيق وتنزيل الأحكام على بعض القضايا الاجتماعية فيقول رحمه الله: ليس توقيف عمر بن الخطاب عقوبة السارق عام المجاعة، مع انها منصوص عليها في القرآن، إلا لأن قصد الشارع معاقبة السارق لا الذي تفرض عليه الحاجة أن يظهربمظهر السارق، لأنه اذا جاع الناس وكان عند غيرهم ما يزيد على حاجتهم أصبح من حقهم أن يأخذوه وأن يقاتلوه عليه[42].

خاتمة:

إن المتتبع لشخصية علال الفاسي، منذ طفولته مرورا بعطاءاته وقوفا عند وفاته، لايستطيع أن يعطي الصورة الكاملة الجامعة عن شخصيته، لما تميزت به شخصيته في فترة امتدت أزيد من خمسين سنة من العطاء، الأمر الذي ولد له رؤية إصلاحية شاملة لكل المجالات، سواء على المستوى المقاصدي أو الإصلاحي أوالاجتماعي.

وإن علال الفاسي وهو يستثمر النص الديني للدفاع عن المصلحة الاجتماعية التيسماها البعض بالعدالة الاجتماعية، يعيد الروح التقدمية للدين الإسلامي في مواكبة ما يستجد من قضايا اجتماعية معاصرة مراعيا للمصلحة الشرعية.

فقد ساهمت الروح المقاصدية التي تشبع بها علال الفاسي في الدفاع عن المصلحة الاجتماعية، من خلال توظيفهللخطاب الديني وتنزيل النصوص الشرعية وتفعيلها في إصلاح المنظومة الاجتماعية مع مراعاة المصلحة، مبينا مدى صالحة الشريعة الإسلاميةلكل زمان ومكانردا على من يدعي أن النصوص الشرعية غير مستوعبة لمستجدات العصر، وذلك ما بينه في كتابه" دفاع عن الشريعة " بشكل مستفيض.

لائحة المصادر والمراجع:

1- علال الفاسي،دفاع عن الشريعة، تقديم دريسا تراوري، دار الكتاب المصري القاهرة، دارالكتاب اللبناني بيروت، الطبعة1: السنة:2011.

2- أحمد الريسوني ،علال الفاسي عالما ومفكرا ، دار الكلمة، الطبعة: 2، السنة:(1435هـ/ 2014م).

3- أحمد عبدالحميد المرنيسي، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الاستقلال،سلسلة الجهاد الأكبر، مطبعة الرسالة، الرباط المغرب، الطبعة : 1978.

4- عبدالحق غروزي،علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، مؤسسة علال الفاسي، ط: 1 / 1431 هـ/ 200 م.

5- علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة علال الفاسي، ط: الخامسة، 1933.

6- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية بيروت، بدون تاريخ.

7- ابن منظور، لسان العرب،دار المعارف القاهرة. بدون تاريخ

8- أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي، قواعد وفوائده، دار الكلمة، مصر القاهرة، الطبعة: 3 ، 1435، 2014م.

9- علال الفاسي، النقد الذاتي، المطبعة العالمية، القاهرة، ط: 1، 1952

10- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، دار الامان- الرباط، الطبعة:1990،1.

11- أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات، تحقيق عبد الله دراز، دار ابن الجوزي – القاهرة،الطبعة:2 ،1975.

الهوامش:

[1]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،تقديم دريسا تراوري، دار الكتاب المصري القاهرة، دارالكتاب اللبناني بيروت، الطبعة1: السنة:2011، ص: 14.

[2]أحمد الريسوني ،علال الفاسي عالما ومفكرا ، دار الكلمة، الطبعة: 2، السنة:(1435هـ/ 2014م) ص: 23/22.

[3]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص: 14.

[4]أحمد عبدالحميد المرنيسي، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الاستقلال،سلسلة الجهاد الأكبر، مطبعة الرسالة، الرباط المغرب، الطبعة : 1978، ص: 22.

[5]" الحركة السلفية هي التي تريد الرجوع بالدين الإسلامي إلى أصله الأصيل ومصدره النقي لتزيل عنه كل ماألصقته به الأجيال به من آثار الجمود والجحود وتحريفات الجاهلين، وتمثلها حركة التجديد الإسلامي هذه ظهرت في عصور مختلفة فالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمة والإمام الشاطبي وأمثالهم من رجال المدارس الإصلاحية الكبرى ولم يكونوا إلا ظاهرة من ظواهر هذه الحركة وروحانيتها ... ولذلك صح أن تكون السلفية الأخيرة جزء من حركة اليقظة والتحرر اللذين تقوم بهما الأمة العربية في هذا الجيل، وما ذلك إلا تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام: إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها..."، انتهى من كتاب: حديث المغرب في المشرق، للأستاذ علال الفاسي، ص: 14/13 بتصرف.

[6]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص: 16.

[7]عبدالحق غروزي،علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، مؤسسة علال الفاسي، الطبعة: 1 / 1431 هـ/ 200 م، ص:8 بتصرف.

[8]أحمد الريسوني ،علال الفاسي عالما ومفكرا ، ص: 13.

[9]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة، ص 97.

[10]علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة علال الفاسي، الطبعة: الخامسة، 1933، مقتطف من آخر الكتاب.

[11]مالي الجنسية حاصل على درجة الأستاذية من المعهد العالي للحضارة الإسلامية في تونس عام 2003، والماجستير من المعهد العالي لأصول الدين في تونس أيضًا عام 2005، ثم الدكتوراة من هذا المعهد عام 2010، والحاصل على جائزة الدولة التونسية للطالب المتميز عام 2003.

[12]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص:7.

[13]أحمد الريسوني ،علال الفاسي عالما ومفكرا ، ص: 98 بتصرف.

[14]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة، ص: 33.

[15]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص: 28.

[16]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص: 34.

[17]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص: 21.

[18]أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية بيروت، بدون تاريخ، مادة قصد،ج:5، ص: 505.

[19]سورة النحل، الآية 9.

[20]ابن منظور، لسان العرب،دار المعارف القاهرة، مادة قصد، ج:5، ص:3945.

[21]علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ، ص: 14.

[22] أحمد الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة، دار الكلمة مصر القاهرة، الطبعة: 1، 1434هـ/ 2013م ، ص: 9.

[23]علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلاميةومكارمها،، ص: 46/45.

[24]علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلاميةومكارمها، ص:9.

[25] أحمد الريسوني، محاضرات في مقاصد الشريعة، ص: 8.

[26]أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي، قواعد وفوائده، ص: 241.بتصرف.

[27]علال الفاسي، النقد الذاتي، المطبعة العالمية، القاهرة، الطبعة: 1، 1952، ص: 7.

[28]الحركات الاستقلالية ، نقلا علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، ص:22.

[29]علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص: 222.

[30]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص:57.

[31]أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات، تحقيق عبد الله دراز، ط: 2،1975،ج: 2،ص: 26.

[32]المصدر نفسه، ج: 2، ص: 26 – 27.

[33]أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات، ص: 2.

[34]أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، دار الامان، الرباط، ط: 1،1990، ص: 7.

[35]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة، ص: 69.

[36]علال الفاسي ،مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمهاص: 7.

[37]علال الفاسي ،مقاصد الشريعة الاسلامية ، ص: 91.

[38]علال الفاسي، مقاصد الشريعة الاسلامية ، ص: 7.

[39]علال الفاسي، مقاصد الشريعة الاسلامية ، ص: 8.

[40]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص: 42.

[41]علال الفاسي،دفاع عن الشريعة،ص: 30.

[42]علال الفاسي النقد الذاتي، ص: 10.